مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية

ISSN: 2617-5908

الدور التنويري للشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي في مدينة المخا (755-828هـ/1353-1425م)(*)

إعداد

د/ سعيد ناجي غالب قائد اسكندر
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك
كلية الآداب جامعة تعز- اليمن

*- تاريخ تسليم البحث ٢٠١٩/١/١٠م تاريخ قبوله للنشر ٢٠١٩/٢/١٢م.

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على أحد العلماء الذين استوطنوا مدينة المخا في النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وهو الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي، ودوره التنويري في مدينة المخا؛ وذلك من خلال الحديث عن أصله ونشأته العلمية، وسفره وتنقلاته في كثيرٍ من بقاع العالم الإسلامي لطلب العلم، ورصد أبرز العلماء الذين تتلمذ على يدهم وصحبهم، وأهم العلوم والمعارف التي تلقاها في رحلته الخارجية، ثم عودته إلى اليمن واستقراره بمدينة المخا للتعليم والتدريس وتأسيسه لفرقة الصوفية الشاذلية في اليمن، والتأثير الاجتماعي للشيخ علي بن عمر القرشي في تلك المرحلة الوسيطة من تاريخ اليمن.

استقى البحث معلوماته من مجموعة من المصادر وأمهات الكتب بعضها عاصر الفترة الزمنية للشخصية المدروسة، والبعض الآخر قريباً منها أو في فترات زمنية لاحقة لها، مسترشدا بالمنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي في قراءة وتفسير واستنطاق نصوص تلك المصادر.

THE ENLIGHTENMENT ROLE OF SHEIKH ALI BIN OMAR AL-QURASHI AL-SHATHLY IN THE CITY OF MOKHA (755-828 AH/ 1353-1425 AD)

Dr. Saeed Naji Ghaleb Qaed Iskandar
Associate Professor of Islamic History
Faculty of Arts, University of Taiz Yemen

Abstract

This research seeks to shed light on one of the scholars who settled in the city of Mukha in the first half of the ninth century AH/15th century AD, Sheikh Ali bin Omar Al-Qurashi Al-Shathily, and his enlightenment role in the city of Mukha, through discussing his ancestry, educational upbringing and travels in many parts of the Islamic world to seek knowledge, as well as through monitoring the most prominent scholars who taught him and whom he accompanied them, and then his stability in the city of Mukha for teaching and establishing Al-Shathily Sufism in Yemen. The social impact of Ali bin Omar Al-Qurashi in that period of the history of Yemen will also be highlighted. The research derived its information from a number of sources and guided by the descriptive historical approach and the analytical method in reading, interpreting the texts of these sources.

مقدمة:

المخا مدينة يمنية ساحلية عُرفت في النقوش باسم "مخن" و"مخون" بلغة المسند[١]، ومنذ العصر الإسلامي عرفت باسم "المخا"[٢]، بفتح الميم وبالخاء المعجمة[٣]، وإلى اليوم ما زالت تحتفظ بالتسمية نفسها، وقد اشتهرت مدينة المخا في العصر الإسلامي وذاع صيتها، وقد ساعد على شهرتها وعلو صيتها كونها مدينة تجارية وميناءً منفتحاً على العالم الخارجي، وهو الأمر الذي جعلها قِبلةً للعديد من العلماء وطلبة العلم من كل مناطق اليمن، بل إنه قد وفد إليها علماء من خارج اليمن، مما جعلها تكتسب مكانه علمية متميزة.

ومن أبرز العلماء الذين سكنوا مدينة المخا في النصف الأول من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي؛ الشيخ علي بن عمر القرشي المعروف بالشاذلي، الذي ذاع صيته العلمي والروحي ليس في مدينة المخا فحسب، بل واليمن كافة في تلك المرحلة، بحيث أصبحت لا تذكر مدينة المَخا إلا مقترنة باسمه؛ لا سيما إذا ما علمنا أنه أدخل إلى اليمن واحدة من أشهر طرق الصوفية في العالم الإسلامي حينها وهي الطريقة الشاذلية، وعمل على نشرها وإشهارها، وكان مسجد الشيخ علي بن عمر القرشي الذي ابتناه في مدينة المَخا المركز الرئيسي والرباط لتدريس الطريقة الشاذلية في اليمن، ليصبح لها أتباعٌ ومريدون كثر؛ لا سيما في مدن تهامة والساحل الغربي ومدينة عدن.

إن التأثير الذي تركه علي بن عمر القرشي الشاذلي داخل مدينة المخا وساكنتها، قد جعل اسمه ضمن أسماء أحد أبواب مدينة المخا الرئيسية، وظلت تلك التسمية قائمة حتى بداية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، كما أن هناك بئر ماء شهيرة للشرب ما زالت إلى اليوم تحمل اسمه تُعرف بـ "بئر الشاذلي"[٤]، بل أن الروايات الشفوية والذاكرة الشعبية لأبناء تهامة تعتقد أن البركة قد غادرت تهامة منذ مغادرة أبرز أوليائها الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي، وأن حال مدينتهم التي ازدهرت بفضله قد أخذت تتدهور بعده[٥]؛ وانكفأ ميناء المدينة التاريخي الشهير الذي كان النافذة لتصدير مادة البن اليمني إلى العالم

---

[١]- بافقيه (محمد عبد القادر) وآخرون: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، ١٩٨٥، ص٢٥٧، ٢٥٩.

[٢]- يعرف ياقوت الحموي المخا تعريفا موجزا فيقول: "المخا موضع باليمن بين زبيد وعدن على ساحل البحر" ، وفي حديث الهمداني عن تهامة اليمن وسكانها يورد اسم المخا كأحد سواحلها الرئيسية، ومدينة المخا اليوم تعد إحدى مديريات الساحل الغربي التابعة لمدينة تعز وميناها من الموانئ الرئيسية على البحر الأحمر. انظر الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، المجلد الرابع (٧-٨)، تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص٢١٦، الهمداني (الحسن بن أحمد بن يعقوب ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م): صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٠، ص١٦٩، ٢٣٢.

[٣]- الشرجي (أبي العباس احمد بن احمد بن عبداللطيف الزبيدي ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م): طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع+ دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص٢٣٣.

[٤] - الصايدي (أحمد قائد): المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، دار الفكر، دمشق، طبعة ١٩٩٠، ص ٢١٣.

[٥]- هذه الاعتقادات تدل دلالة واضحة على التأثير الكبير الذي تركه بعض المتصوفة في اليمن ومنهم الشيخ علي بن عمر الشاذلي، وبقدر الدور الحيوي والتنويري لرجال التصوف داخل المجتمع أثناء حياتهم، فإنه بالمقابل كانت له نتائج سلبية على المستوى البعيد، إذ يلاحظ أنه بعد رحيل تلك الشخصيات شعر كثير من أتباعهم ومحبيهم أن الحياة أظلمت بموتهم، وأن الخير قد ذهب برحيلهم، بل اعتقدوا أن كل كارثة أو مصيبة تحل بهم سببها رحيل أولياء الله من المتصوفة، وظلوا يحنون لعودتهم ويتبركون بأضرحتهم، وعُطلت فاعلية الإنسان وقدراته، وبدلاً من إعمال العقل والمعرفة والعمل لمواجهة أعباء الحياة ومتغيراتها

الخارجي، تلك المادة التي يُعتقد أن الشيخ علي بن عمر الشاذلي كان أول من اكتشفها وقدمها لضيوفه ومريديه[٦]، ومن ثم انتشرت إلى العالم حينها، ولهذا تجد سكان المخا لا ينفكون عن ارتياد مسجد وليهم الراحل علي بن عمر الشاذلي، لأداء صلواتهم وطقوسهم التي يقيمونها حول ضريحه[٧]، لعلَّ بركاته أو بعضها تعود إليهم فتتحسن أحوالهم الصعبة التي يعيشونها.

كل ما سبق من المعطيات كانت دافعاً للبحث في هذه الشخصية العلمية التي استوطنت مدينة المخا ودورها التنويري في تلك المرحلة التاريخية من العصر الإسلامي، وقد خرج البحث في صورته النهائية بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة مكوناً من تمهيدٍ تضمن الحديث عن الوضع العام في الفترة التي ظهر فيها الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي، ثم محورين رئيسيين؛ تناول المحور الأول التعريف بالشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي ومسيرته العلمية، وتناول المحور الثاني استقرار الشيخ علي بن عمر بالمخا ودوره التنويري.

تمهيد: الأوضاع السياسية والحضارية لعصر الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي

سنحاول في هذا التمهيد التطرق إلى الوضع العام للعصر الذي ظهر فيه الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي أيام الدولة الرسولية.

ظهر الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وامتد به العمر إلى الثلث الأول من القرن التاسع الهجري وتحديدا إلى سنة 828هـ/1426م[٨]، وتعد هذه الفترة أزهى عصور الدولة الرسولية وخاصة في الحياة العلمية والثقافية، ذلك أن حكام بني رسول كانوا مهتمين بالعلم والعلماء ومؤسسات التعليم؛ وأسهموا في تأليف العديد من المصنفات العلمية في مختلف العلوم[٩]، كما شهد العصر الذي عاش فيه الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي انتشار التصوف الذي وجد دعما رسمياً من طرف سلاطين الدولة الرسولية، الذين كانوا على علاقة وثيقة بهذا الاتجاه منذ نشأة دولتهم؛ التي ارتبط ظهورها بتكهنات صوفية حسب بعض الروايات[١٠].

ومن أشهر سلاطين الدولة الرسولية الذين حكموا في الفترة التي ولد فيها الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي؛ السلطان المجاهد "علي" بن داؤد المؤيد الذي تولى الحكم من سنة 721هـ/1322م إلى سنة

ومواكبة التطور، بقى المجتمع يعيش على التعلق بالأوهام والأمنيات، ومع مرور الزمن انتشرت الخرافات والبدع التي ما زالت بعض آثارها قائمة إلى يومنا هذا.

[٦]- الخطابي (أروى أحمد عبد الله): تجارة البن اليمني (ق١١هـ - ١٣هـ / ق ١٧م – ١٩ م) "دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، اليمن، يوليو ٢٠٠٤م، ص١٥-١٨.

[٧]- الصايدي، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ص٢١٣.

[٨]-الأهدل (بدر الدين أبي عبدالله الحسين بن عبدالرحمن بن محمد تـ ٨٥٥هـ/١٤٥١م): تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، الجزء الثاني، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص٣٠٨، البريهي (عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي تـ ٩٠٤هـ/١٤٩٨م): طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٤، ص٢٧٠-

[٩]- العروسي (محمد بن علي): العلماء الملوك في اليمن في عصر الدولة الرسولية، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، المجلد٢٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٤٥-٦٦.

[١٠]- الخزرجي (علي بن الحسن تـ ٨١٢هـ/١٤٠٩م): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الجزء الأول، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، ص٥١-٥٢، بامخرمة (أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد تـ ٩٤٧هـ/١٥٤٠م): تاريخ ثغر عدن، الجزء الثاني، مطبعة بربل، لندن، ١٩٤٦، ص١٧٥.

764هـ/ 1363م؛ ورغم أن فترة حكم هذا السلطان قد شهدت كثيرا من الاضطرابات والتمردات الداخلية ولاسيما التي تزعمها بعض الخارجين عليه من أفراد البيت الحاكم[١١]، فإنه تمكن بدهائه من القضاء عليها والحفاظ على هيبة الدولة، وحدثت في عهده نهضة عمرانية كبيرة؛ عُمرت فيها أبواب مدينة زبيد وأسواقها وخنادقها، وبنيت فيها– أي زبيد– العديد من المدارس والمساجد وتم ترميم بعضٍ منها في تعز[١٢]، وبالنسبة للحياة العلمية في عهده؛ تذكر المصادر أن السلطان المجاهد كان مهتما بالعلم ومؤسسات التعليم، وكان هو نفسه أديبا وشاعرا، مجيدا للعديد من فنون العلم والمعرفة، حتى قيل أنه أعلم سلاطين بني رسول[١٣]، وفي عهد السلطان المجاهد علا شأن الصوفية وتمكنوا من إقامة أنشطتهم وممارسة طقوسهم وخاصة في مساجد مدينة زبيد[١٤].

وبعد وفاة السلطان المجاهد سنة 764هـ/1363م تولى الحكم بعده ابنه السلطان الأفضل عباس بن علي" المجاهد" واستمر في الحكم إلى سنة 778هـ/ 1373م، تمكن خلالها من القضاء على حركات التمرد التي اندلعت في أماكن مختلفة، منها حركة الأمير محمد بن ميكائيل الذي تمرد على الحكم في نهاية حكم والده المجاهد وأعلن استقلاله بحرض ونواحيها[١٥]، كما قضى على التمردات القبلية التي ظهرت في بلاد المعافر وجيزان بالمخلاف السليماني وبعض مناطق إب في بعدان والجعاشن والعنسيين[١٦].

وقد عرف عن الأفضل حزمه وعلو همته ونباهته[١٧]، فضلاً عن تضلعه في العلوم والمعارف المختلفة، وله العديد من المصنفات نذكر منها كتاب "بغية ذوي الهمم في معرفة أنساب العرب والعجم"، وكتاب" نزهة العيون في معرفة الطوائف والقرون"[١٨]، وكتاب" العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية"، كما قام باختصار مفيدٍ لتاريخ ابن خلكان"[١٩]، وعرفت الصوفية في عهده انتشاراً واسعا، وكانت

---

[١١]- من أبرز المشاكل التي واجهت السلطان المجاهد صراعه مع الناصر ابن الأشرف الذي استولى على مدينة زبيد واستردها المجاهد منه بالقوة، وتمرد ابن عمه الظاهر عبدالله بن المنصور الذي سيطر على حصن الدملوة والسمدان وسيطر على عدن ثم استعادها المجاهد، حتى أن بعض أبنائه قادوا بعض التمردات ضده كالمظفر ابن المجاهد الذي تمرد في السنة الأخيرة على حكم والده بالتحالف مع قبيلة العقارب في لحج وسيطرته على عدن؛ فلاحقه السلطان المجاهد وأفشل محاولته، فضلا عن تمردات العديد من القبائل في تهامة وإب والمعافر وتمكن السلطان من إخمادها، وواجه السلطان المجاهد آخر حياته خروج الأمير محمد بن ميكائيل عن الطاعة وإعلانه الاستقلال في جهات المهجم والمحالب ونواحي حرض. للمزيد حول الموضوع انظر: ابن الديبع (عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر تـ ٩٤٤هـ/١٥٣٧م): بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦، ص٨٥- ٨٨، الخزرجي (علي بن الحسن تـ ٨١٢هـ/١٤٠٩م): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الجزء الثاني، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، ص١٠٢-١٠٤، الوصابي (وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد تـ ٧٨٢هـ/١٣٨٠م): تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص١١٩-١٢٠، هديل (طه حسين عوض): التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية وأثرها في الحياة العامة في اليمن، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص ٩٢-٩٧.

[١٢]- ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٨٧- ٨٩.

[١٣]- الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، الجزء الثاني، ص٥٧، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص٨٨.

[١٤]- الحبشي (عبدالله محمد)، الصوفية والفقهاء في اليمن، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٩٧٦، ص٤٨.

[١٥]- الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، الجزء الثاني، ص١١١-١١٥.

[١٦]- تاريخ الدولة الرسولية: لمؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٩٨٤، ص ٦٩-٧٧، هديل، التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية وأثرها في الحياة العامة في اليمن، ص٩٧-٩٨.

[١٧]- الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، الجزء الثاني، ص١١١.

[١٨]- ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص٩١-٩٤.

[١٩]- الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، الجزء الثاني، ص١٣٥، الكامل (محمد أحمد): موجز تاريخ اليمن في العصر الإسلامي حتى نهاية عهد الدولة الطاهرية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص٢٦٩.

علاقته متميزة برموزها، ومن أشهر الشخصيات الصوفية التي كان على تواصل معها الشيخ إسماعيل الجبرتي؛ وتظهر طبيعة العلاقة الودية بينهما من مراسيم الاستقبال الرسمي والشعبي الكبيرين، والوليمة المشهودة التي أقامها السلطان الأفضل للشيخ إسماعيل الجبرتي في أثناء زيارته إلى مدينة تعز، وحضرها جمع غفير من مشايخ البلاد وكبرائها[٢٠].

ولما وافت السلطان الأفضل المنية في سنة 778هـ/1373م[٢١] خلفه في الحكم إبنه السلطان "الأشرف الثاني" إسماعيل بن عباس الذي استمر في الحكم إلى سنة 803هـ/1400م، وتمكن من إخضاع المناطق التي حاولت الخروج عن طاعته، وأعاد للدولة هيبتها[٢٢]، وفي أيامه عرفت البلاد نهضة عمرانية كبيرة، إذ أصدر السلطان الأشرف أوامره بعمارة العديد من المساجد والمدارس بمدينة زبيد وتفعيلها، ورمم كثيراً من المدارس السابقة، ومن مآثره الدينية والعلمية التي ما زالت ماثلة إلى يومنا هذا مدرسة الأشرفية الكبرى في تعز، وفي عهده بني القصر المعروف بدار النصر في نواحي زبيد[٢٣]، كما شهد قطاع الزراعة والتجارة في أيامه تطورا ملحوظا وغرست البساتين بالأشجار والفواكه المتنوعة[٢٤]، وكان للتعليم اهتمامٌ خاص من طرف السلطان نفسه؛ إذ كان محباً للعلم شغوفاً به[٢٥]، مُقربا للعلماء مُكرما لهم، كما نعم الصوفية في عهده بالرعاية والتقدير[٢٦]، وقد عُرف عن السلطان الأشرف الثاني كرمه الذي شمل الأمراء والولاة والوافدين إليه كأشراف مكة والحجاز وغيرهم[٢٧]، وتجدر الإشارة إلى أن الهدايا والتحف المتنوعة كانت تأتيه من بلدان عديدة، كمصر وبلاد السودان والهند وغيرها من البلدان[٢٨]، مما يدل على هيبة الدولة الرسولية في تلك المرحلة من تاريخ المسلمين وتأثيرها القوي الذي وصل إلى بلدان خارجية عديدة.

وبعد رحيل السلطان الأشرف الثاني تولى الحكم خلفاً له السلطان "الناصر أحمد" ابن إسماعيل من سنة 803هـ إلى سنة 827هـ/ 1400– 1425م، ويعد هذا السلطان آخر سلاطين دولة بني رسول الكبار الذين حفظوا للدولة هيبتها وثبتوا دعائم الأمن والاستقرار فيها[٢٩]، إذ عرف عهده انتعاشاً اقتصادياً وعمرانياً كبيراً[٣٠]، كما توطدت علاقاته الخارجيه مع عدة بلدان مثل مصر والهند والصين والحبشة ودهلك في شرق

---

[٢٠]- الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص٤٩.
[٢١]- الوصابي، تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار، ص١٢١.
[٢٢]- تاريخ الدولة الرسولية لمؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري ، ص ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩.
[٢٣]- لمن أراد معرفة أسماء المساجد والمدارس والمتاجر التي بنيت في عهد السلطان الأشرف يمكنه العودة إلى ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص٩٥، ٩٦ ٩٧.
[٢٤]- تاريخ الدولة الرسولية، لمؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري، ص١٢٨، الكامل، موجز تاريخ اليمن في العصر الإسلامي حتى نهاية عهد الدولة الطاهرية، ص٢٧١-٢٧٢.
[٢٥]- ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٩٧.
[٢٦]- الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص٤٩.
[٢٧]- تاريخ الدولة الرسولية لمؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري ، ص٨٧، ٩٤، ٩٥.
[٢٨]- تاريخ الدولة الرسولية لمؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري، ص٩١، ٩٣، ٩٨، ١٠١، ١٠٦، ١١٤، ١٢٨.
[٢٩]- ابن الديبع (عبدالرحمن بن علي تـ ٩٤٤هـ/١٥٣٧م): قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص٣٨٨، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص٩٧، ٩٨، ١٠٢، الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص٤٩.
[٣٠]- ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص١٠١- ١٠٢.

افريقية، وتبودلت الهدايا بينه وبين ملوك بعض تلك البلدان[٣١]، وتشير المصادر إلى دعمه للمجاهدين المسلمين في بلاد الحبشة وإمدادهم بالمال والرجال والسلاح[٣٢].

ومثل سلفه من سلاطين بني رسول اهتم السلطان الناصر بالعلماء وبرموز الصوفية؛ ومن أشهر رجال الصوفية الذين كان يعتقد بهم ويتواصل معهم الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي[٣٣]؛ وبعد وفاة السلطان الناصر سنة 827هـ/ 1425م خلفه في الحكم المنصور عبدالله بن أحمد "الناصر" لمدة عامين تنتهي في سنة 830هـ/ 1428م، وقد عرف هذا السلطان بتدينه وحسن تدبيره للشأن العام [٣٤]، ويعتبر نهاية عهد المنصور بداية لمرحلة جديدة في حكم بني رسول عرفت بالضعف[٣٥]، واستمرت الأمور في التدهور حتى سقوط الدولة الرسولية سنة 858هـ/ 1456م، وفي عهد هذا السلطان "المنصور" رحل الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي– موضوع بحثنا– إلى ربه في سنة 828هـ/1426م.

بهذا التمهيد نكون قد رسمنا صورة تقريبية للوضع العام في العصر الذي ظهر فيه الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي، لنلج إلى محاور جديدة نتناول فيها شخصية هذا الرجل من حيث أصله ونشأته ورحلاته العلمية، وأبرز السمات والمناقب التي تحلى بها، والدور التنويري الذي قام به في حياته وتأثيره المجتمعي ولاسيما بعد استقراره في مدينة المخا منذ بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

المحور الأول: اسمه ونسبه ومسيرته العلمية:

أولاً: اسمه ونسبه:

هو الشيخ أبو الحسن علي بن عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن دعسين بن هُبيني القرشي[٣٦]، ويورد الإمام السخاوي اسمه في كتابه الضوء اللامع فيقول هو: "علي بن عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن محمد القرشي"[٣٧]، ويعرفه صاحب طبقات الخواص فيقول: هو "ابو الحسن علي بن عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد دعسين القرشي الصوفي الشاذلي"[٣٨]، ويسميه صاحب كتاب صلحاء اليمن بـ" الشيخ الصالح الولي شمس الدين علي بن عمر القرشي

---

[٣١]- تاريخ الدولة الرسولية لمؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري، ص١٣٨، ١٥٤، ١٦٩، ١٧٥، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٢، ٢٠٧، الكامل، موجز تاريخ اليمن في العصر الإسلامي حتى نهاية عهد الدولة الطاهرية، ص٢٧٧.

[٣٢]- ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص٣٨٨-٣٩٠، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص٩٩، ١٠١، تاريخ الدولة الرسولية لمؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري، ص١٥٤.

[٣٣]- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٦- ٢٦٧.

[٣٤]- ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص٣٩٢.

[٣٥]- ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص١٠٣، الكامل، موجز تاريخ اليمن في العصر الإسلامي حتى نهاية عهد الدولة الطاهرية، ص٢٧٨-٢٨٢.

[٣٦]- الأهدل، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، الجزء الثاني، ص٣٠٧.

[٣٧]- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن تـ ٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الجزء الخامس، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الزعبلي وعلي بن محمد الحريري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٢٦٢.

[٣٨]- الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص، ص٢٣٣.

الشاذلي"[٣٩]، ويُعد الشيخ علي بن عمر القرشي امتداداً لأسرةٍ علمية لها باعٌ كبيرٌ في الفقه والعلم والصلاح في تهامة[٤٠].

أما نسبه القبلي فإن الشيخ علي بن عمر الشاذلي ينتمي إلى قبيلة القُرشِية[٤١]، وهي إحدى القبائل التهامية الواقعة أسافل وادي رمع[٤٢]، بالقرب من مدينة زبيد[٤٣]، إذ تذكر بعض الروايات أنه ولد بالقرشية[٤٤]، سنة 755هـ/1353م، وإليها كان انتسابه[٤٥].

ثانيًا: مسيرته العلمية:

بدأ علي بن عمر القرشي تعليمه في مرحلة مبكرة من حياته، وقد تلقى تعليمه الأولي في منطقة أبيات حسين من قرى وادي سردد بالقرب من الزهرة والمهجم[٤٦]، على يد الشيخ ابن عمران وأخذ عنه بعض العلوم[٤٧]، ليواصل مسيرته في طلب العلم؛ حتى أصبح متضلعاً بعلوم اللغة العربية، والتواريخ والأنساب[٤٨]، وغيرها من العلوم والفنون.

ويمكن حصر أبرز المعارف والعلوم التي كان الشيخ علي بن عمر القرشي يتقنها ويحفظها على النحو الآتي:

١- علم الحديث: أتقن الشيخ علم الحديث، ومن أهم كتب الحديث التي حفظها كتاب "مصابيح السنة" لمؤلفه الإمام حسين بن مسعود الفرا البغوي تـ ٥١٦هـ/١١٢٢م[٤٩].

٢- علم الفقه: بدأ الشيخ علي بن عمر القرشي الاهتمام بعلم الفقه منذ مرحلة مبكرة في حياته[٥٠]، حتى أتقن هذا العلم، وحفظ كتاب الوسيط في المذهب لمؤلفه حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي تـ ٥٠٥هـ/١١١١م، كما حفظ كتاب المنهاج المسمى "منهاج الطالبين وعمدة المفتين"، لمؤلفه الإمام الحافظ محيي الدين يحيي بن شرف النووي الشافعي تـ ٦٧٦هـ/١٢٧٧م[٥١].

٣- علم النحو: حفظ الشيخ علي بن عمر القرشي العديد من المؤلفات في هذا العلم، منها كتاب التسهيل في النحو المسمى "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" لمؤلفه أبي عبدالله محمد بن عبدالله النحوي؛ المعروف

---

[٣٩]- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٤.

[٤٠]- من أجداد هذه الأسرة الفقيه المشهور أبوبكر بن أحمد دعسين بن هبيني- بضم الهاء- القرشي. انظر الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، الجزء الثاني، ص٨١-٨٢، الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٧، الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص، ص٣٩٠-٣٩١.

[٤١]- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٧، السخاوي، الضوء اللامع، الجزء الخامس، ص٢٦٢.

[٤٢]- الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣.

[٤٣]- السخاوي ، الضوء اللامع ، الجزء الخامس، ص ٢٦٢.

[٤٤]- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص ٣٠٧.

[٤٥]- الزركلي، (خير الدين): كتاب الأعلام، المجلد الرابع، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، ١٩٨٦، ص٣١٦، البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٤.

[٤٦]- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٥٣٩.

[٤٧]- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٧.

[٤٨]- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٧.

[٤٩]- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٤ وهامشها.

[٥٠]- يذكر المؤرخ الأهدل في هذا الصدد أن الشيخ علي بن عمر القرشي كان قد تعلم شيئا من الفقه منذ بدأ مسيرته العلمية في أبيات حسين. انظر تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٧.

[٥١]- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٤ وهامشها.

بابن مالك تـ ٦٧٢هـ/١٢٧٣م، ومقدمة ابن الحاجب المعروف بـ "الكافية"[٥٢]، لمؤلفه عثمان بن عمر بن الحاجب تـ ٦٤٦هـ/١٢٤٩م، وكتب الشيخ أثير الدين أبي حيان تـ ٧٤٥هـ/١٣٤٤م[٥٣]، وأبرزها التبديل والتعميل[٥٤] والتذكرة، التي كان الشيخ علي بن عمر القرشي لا يفارقهما سفرا ولا حضراً حسب الروايات.

٤- علم الفرائض: وهو من العلوم التي أجادها وبرع فيها[٥٥]، منذ كان يطلب العلم في منطقة أبيات حسين[٥٦].

٥- علم القراءات: كان علم القراءات من العلوم التي كان الشيخ علي بن عمر القرشي قد أتقنها، ومن أهمها: القراءات الشاطبية[٥٧]، والعقيلة [٥٨] وغيرها.

٦- الشعر: كان الشيخ علي بن عمر القرشي شاعرا موهوبا، يتجلى ذلك من خلال المقتطفات التي أوردها صاحب كتاب طبقات صلحاء اليمن من قصائده الشعرية، التي أنشدها في العديد من المواقف؛ مثل قصيدته التي كتبها إلى الشيخ عماد الدين بن يحيي الأهدل والتي بدأها بالقول:

بالحمد مفتتحي أمام مقاصدي وبها اختتامي لانتظام فوائدي[٥٩].

كما أجاد شعر الردود ومن ذلك ردوده على شعراء امتدحوه، منهم الشريف يحيي بن أحمد المساوى، الذي زاره إلى مدينة المخا وامتدحه بالقول:

كل عين تراه في كل حين تلك عين من العمى في أمان

فرد عليه الشيخ علي بن عمر القرشي ارتجالا بالقول:

هذه العين تجتلي لمليح آنسته على الكثيب اليماني[٦٠].

ومن أبرز مقتطفاته الشعرية تلك القصيدة التي رد بها على ما امتدحه به الشيخ إبراهيم بن محمد الغزي المشهور بابن زُقَّاعة؛ والتي استعمل كل منهما حروف اسم صاحبه في أبيات القصيدة [٦١].

---

٥٢)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٥ وهامشها.

٥٣)- هو محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان، من علماء الأندلس رحل إلى مصر وتوفي سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. انظر البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٦٥ وهامشها.

٥٤)- يرجح أن المقصود بهما كتب لابن حيان يحمل عنوان " التذييل والتكميل في شرح التسهيل" راجع البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٥ وهامشها.

٥٥)- الشرجي: طبقات الخواص، ص٢٣٣.

٥٦)- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٧.

٥٧)- هي المنظومة المعروفة بـ" حرز الأماني" لمؤلفها: القاسم بن فيرة الشاطبي المتوفي سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م. راجع البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٥ وهامشها.

٥٨)- اسم كتاب عنوانه " نظم المقنع في القراءات " تأليف الشاطبي سالف الذكر. ينظر البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٥ وهامشها.

٥٩)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٨.

٦٠)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٧-٢٦٨.

٦١)- بدأ الشيخ إبراهيم الغزي قصيدته ممتدحا صاحبه علي القرشي بالقول:

(عين) حبي و(لامه) ثم (ياء) تمامه
شاهدات بأنني من قديم علامه
مغرم طول عمري ما تناهي غرامه
ساهر طاوي الحشا ناحلات عظامه
فهو في النار برده لو أتاه سلامه
شام برق يماني قال هذاك شامه
كل ما هبت الصبا فاح طيبا خزامه
وصله يوم عيدنا لحرام صيامه

وبالإضافة إلى إجادة الشيخ علي بن عمر القرشي للعديد من العلوم والمعارف السالفة الذكر، فقد حرص على التعمق في العلوم الروحانية، ولذا نجده يسلك طريق التصوف[٦٢]، ولكي يشبع نهمه أكثر في تحصيل العلوم والمعارف المختلفة وطرق الصوفية؛ نجده يغادر بلاد اليمن متجها إلى مكة المكرمة، ومنها ساح في كثير من بقاع العالم الإسلامي، طلباً للعلم والمعارف حتى أضحى من مشاهير العلماء في عصره كما سنوضح لاحقاً.

ثالثا: رحلاته العلمية:

بعد أن نال الشيخ علي بن عمر القرشي قسطاً من العلوم والمعارف في بلده (اليمن)، طمحت نفسه للتبحر أكثر في ميادين العلم والتصوف، ولهذا كان لا بد من السفر إلى خارج اليمن وزيارة مراكز علمية مختلفة والاستماع لعلماء ومشائخ في بلدان وبقاع عديدة من بلاد الإسلام مشهورة بالعلم حينها، ويمكن تحديد خط سير رحلته العلمية والدينية خارج اليمن والمحطات التي استوقفته في تلك الرحلة على النحو الآتي:

١- رحلته إلى الحرمين الشريفين (مكة والمدينة):

من أوائل البلدان التي نزلها الشيخ علي بن عمر القرشي بعد مغادرته اليمن هما الحرمان الشريفين (مكة والمدينة)[٦٣]، فقد حج إلى بيت الله الحرام[٦٤]، وزار قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم[٦٥]، وبعد أن أتم مناسكه الدينية في الحرمين الشريفين واصل رحلته السياحة العلمية فقصد بلاد الشام[٦٦]، حيث استقر به المقام في القدس.

٢- رحلته إلى القدس الشريف:

كانت عزيمة الشيخ علي بن عمر القرشي وهمته عالية جدا، فبعد رحلته الدينية وقضائه مناسك الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، تطلعت نفسه إلى زيارة أولى القبلتين ومسرى رسولنا محمد صلى الله

بمديح خدمته مثل در نظامه
فهو للعلم جامع وهو عندي إمامه

فرد عليه الشيخ علي بن عمر القرشي بنفس الطريقة التي استعملها بذكر حروف إسمه" ٬إبراهيم"

همزة ترقب(الألف) بسطة(الباء) تأتلف (راء) ريم يرامه
زارني وهو منتصف فهت(بالهاء) هاتفا هاك وصفيك ذاك صف
دارت(اليا) بمية (ميم) مي بها عرف ماء مزن نزوله
بالمقامين فاغترف خذ سلافا معتقا خندريسا بها ارتشف
عد إلى ما ذكرته يشهد الرقم بالكتف قام تركيب شكله
من قديم لديه قف فاستقامت هياكل من قوى قامة الألف
هذه دار عزة عز بالعين ملتحف تشهد الخل في حمى
رية الخال معتكف أهيف القد أملد للرياحين مقتطف
جاءني الزهر جملة يأتي الزهر مؤتلف وبمنظار عزة
أنعمت نُعم بالألف.

انظر أبيات تلك القصائد عند البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٦٩-٢٧٠.

[٦٢]- الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣.
[٦٣]- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٤.
[٦٤]- الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣.
[٦٥]- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٤.
[٦٦]- الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣.

عليه وسلم لتلمس البركات والرحمات، بأرض فلسطين، فتوجه إليها، ليستقر به المقام في القدس الشريف[٦٧].

استمر الشيخ علي بن عمر القرشي في القدس لفترة من الزمن قسم أوقاته بين العبادة وتزكية النفس، وبين القراءة في العلوم المتنوعة، كما صحب خلال مكوثه بالقدس جماعة من الصالحين، حتى أنار الله قلبه ولزم طريقتي الشريعة والحقيقة على الطريقة الشاذلية[٦٨]، ولكي يتعمق في فهم الطريقة الشاذلية كان على الشيخ علي بن عمر القرشي أن يغادر القدس وبلاد الشام لمقابلة شيخ الطريقة الشاذلية الصوفية وقطبها في ذلك الحين والذي كان مستقرا في مصر.

٣- رحلته إلى مصر:

غادر الشيخ علي بن عمر القرشي القدس الشريف متجها إلى مصر حيث كان يقيم شيخ الطريقة الشاذلية وقطبها الشيخ ناصر الدين المليقاني[٦٩]، وتضفي بعض الروايات كرامات معينة على شيخ الطريق الشاذلية ناصر الدين المليقاني فتذكر تنبؤه بقدوم الشيخ علي بن عمر القرشي إلى مصر؛ وأنه لما كان بينه وبين مصر مرحلتان أرسل إليه الشيخ ناصر بعضاً من أصحابه ومعهم راحلة خصصت للشيخ علي بن عمر ليركب عليها، حتى دخل مصر واستقبل بكل حفاوة[٧٠] من طرف الشيخ ناصر الدين المليقاني وذلك سنة 797هـ/1394م[٧١].

والجدير ذكره أن الشيخ ناصر الدين المليقاني قطب الشاذلية حينها كانت له مكانة معتبرة في مصر؛ إذ سبق له وأن تولي منصب القضاء فيها لفترة، ثم آثر الاعتزال وتفرغ لممارسة الخطابة و القراءة والوعظ، واشتهر بالفضل وعمل المكارم[٧٢].

على أية حال؛ فقد اهتم الشيخ علي بن ناصر المليق بعلي بن عمر القرشي واجتهد في رعايته وتعليمه؛ وطلب منه إجادة بعض العلوم وعلى رأسها الحديث والفقه، إذ يذكر صاحب صلحاء اليمن أنه أمره أن يقرأ الحديث والفقه على يد الإمام ابن النحوي: عمر بن علي بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الملقن أو ابن النحوي المتوفي سنة 804هـ/1401م، مصنف شرح المنهاج المسمى "**عمدة المحتاج**"، فقرأ علي بن عمر القرشي على يد ابن النحوي الحديث والفقه وأجيز بهما على يده[٧٣]، لينتقل بعد ذلك إلى دراسة الطريقة الشاذلية على يد قطبها الشيخ علي بن ناصر المليق، فقد ذكر العلامة الأهدل في هذا الشأن أن الشيخ علي بن ناصر المليق: "لقنه الذكر وأدخله الخلوة، وبشره بالفتح"[٧٤]، ولم تمر فترة كبيرة حتى استطاع الشيخ

---

[٦٧]- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٤.

[٦٨]- الشاذلية: نسبة إلى مؤسسها الصوفي علي بن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي، المتوفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وهو صاحب الأوراد والأحزاب الشهيرة. انظر البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٤-٢٦٥.

[٦٩]- الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣. وتجدر الإشارة أن هذا الشيخ كان شافعياً شاذلياً تولى قضاء مصر، وله مؤلفات كثيرة ، وكان يعرف بابن بنت الميلق ناصر الدين محمد بن عبدالدائم بن محمد. انظر البريهي، طبقات صلحاء اليمن، هامش ٦، ص٢٦٥.

[٧٠]- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٥.

[٧١]- الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص٣٥.

[٧٢]- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٥.

[٧٣]- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٦.

[٧٤]- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٧.

علي بن عمر القرشي الإحاطة والإلمام بأصول الطريقة الشاذلية[٧٥]، وأصبح من وقتها يطلق عليه شاذليا[٧٦].

وكان الشيخ علي بن عمر القرشي في أثناء بقائه في مصر قد صحب جماعة من مشايخ العلم الذين كانوا مستقرين في مصر، منهم: الشيخ برهان الدين إبراهيم بن محمد الغَزي[٧٧] المشهور بزُقاعة، وهو من مدينة غزة بفلسطين، ومن الشخصيات العلمية التي صحبها في مصر المفسر المحدث شهاب الدين أحمد بن عمر الأنصاري الشاذلي[٧٨]، المعروف باسم "الشاب التائب"[٧٩]، وحسنت علاقة الشيخ علي بن عمر القرشي بهاتين القامتين العلميتين وعقدوا الأخوة فيما بينهم[٨٠].

ولما شعر الشيخ ناصر الدين المليقاني أن تلميذه علي بن عمر القرشي قد بلغ منزلته في استيعاب واستلهام الطريقة الشاذلية، أعطاه الإشارة بالرحلة إلى حيث يطمئن قلبه وينشرح صدره، وتذكر بعض المصادر أنه أشار عليه بالتوجه نحو بلاد الحبشة[٨١]، وخرج بنفسه لتوديعه، فغادر الشيخ علي بن عمر القرشي مصر بعد إقامته فيها لمدة ثلاث سنوات[٨٢].

٤- رحلته إلى الحبشة:

كانت بلاد الحبشة أخر الأماكن التي زارها الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي قبل أن يعود إلى اليمن ويستقر فيها، وعندما وصل الشيخ علي بن عمر القرشي إلى بلاد الحبشة كان في استقباله سلطان اليمن بالحبشة سعد الدين المجاهد[٨٣]، وأقام الشيخ علي بن عمر القرشي عنده لفترة من الزمن، وكان السلطان سعد الدين يحبه ويعتقد به، فقربه منه وتطورت العلاقة بينهما، ووثقت بالمصاهرة بينهما بزواج الشيخ علي بن عمر القرشي من أخت السلطان سعد الدين المجاهد[٨٤]، وأنجب منها عدداً من الأولاد[٨٥]، وذاع صيت الشيخ علي بن عمر القرشي في الحبشة وأسرته، وتقول الروايات أن الناس في بلاد الحبشة، وخاصة أولاد السلطان سعد الدين كانوا يجلونه ويحسنون إليه وإلى أصحابه وأسرته، معتقدين بكراماته التي ظهرت جلية في الجهاد إلى جانب سلطان اليمن بالحبشة سعدالدين المجاهد[٨٦].

---

٧٥)- الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣.
٧٦)- السخاوي، الضوء اللامع ، الجزء الخامس، ص ٢٦٢.
٧٧)- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٧.
٧٨)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٤١.
٧٩)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٦.
٨٠)- نفس المصدر، نفس الصفحة
٨١)- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص ٣٠٧.
٨٢)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٥.
٨٣)- الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣.
٨٤)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٧٠، السخاوي، الضوء اللامع، الجزء الخامس، ص٢٦٢.
٨٥)- أشهرهم عفيف الدين عبدالرؤوف والزين. انظر البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٦، ٢٧٠.
٨٦)- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٧، كان هذا السلطان وأسرته في تلك الفترة قد وصلوا إلى حكم مملكة إسلامية في شرق الحبشة عرفت بسلطنة أوفات، وكانت هذه السلطنة قد تأسست في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي على يد جماعة قدموا من الحجاز- ودخلوا في صراع مستمر مع ملوك الحبشة المسيحيين حينها، ويبدو أن الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي لما وصل الحبشة ونزل عند سلطانها سعد الدين كانت الحرب مشتعلة بينه وبين ملوك الحبشة، فانضم إلى جيش السلطان سعد الدين وكانت له صولات وجولات في تلك الحروب؛ وهو ما جعل أبناء السلطان سعدالدين والمجتمع عموما يجلونه ويعتقدون بكراماته حسب صاحب تحفة الزمن. وتجدر الإشارة إلى أن سلاطين بني رسول ظلوا يقدمون الدعم باستمرار لأبناء سعدالدين المجاهد الذين كانوا يزورون سلاطين بني رسول بين الفينة والأخرى يطلبون الدعم لمقارعة النصارى في الحبشة. انظر ابن

وعلى أية حال، فبعد سنوات قضاها الشيخ علي بن عمر القرشي في الحبشة قرر أخيراً أخذ أولاده وزوجته والعودة إلى بلاده في اليمن، فغادر الحبشة وركب البحر ليستقر به المقام في مدينة المخا بساحل موزع[٨٧]، وبعودته واستقراره في المخا تبدأ مرحلة جديدة من حياة الشيخ علي بن عمر القرشي كان لها صداها وتأثيرها في بلاد اليمن وخاصة على المستويين الثقافي والاجتماعي.

المحور الثاني: الدور التنويري للشيخ علي بن عمر الشاذلي:

غادر الشيخ علي بن عمر القرشي بلاد الحبشة متجها إلى بلده اليمن وركب البحر مع زوجته وأولاده، إلى أن ألقته السفينة بساحل موزع ونزل مدينة المخا، ليبدأ مرحلة جديدة في حياته تميزت بالعديد من الأنشطة العلمية والمجتمعية، وقصده الناس من مناطق اليمن المختلفة، فما هي أهم الأعمال والأنشطة التي قام الشيخ علي بن عمر القرشي بعد استيطانه مدينة المخا؟

أولا: نشر الطريقة الصوفية الشاذلية في بلاد اليمن:

قبل الحديث عن تأسيس علي بن عمر القرشي الشاذلي لفرقة الصوفية الشاذلية في اليمن؛ نود التنوية إلى أن التصوف قد عرف طريقه إلى بلاد اليمن منذ مرحلة مبكرة[٨٨] ومع مرور الزمن نما تيار الصوفية وعرف توسعا كبيرا مع ظهور الدولة الرسولية التي قيل أن مؤسسها عمر بن علي بن رسول وصل إلى الحكم بناء على تكهنات صوفية[٨٩] كما أسلفنا، وقد عمل سلاطين الدولة الرسولية على دعم تيار الصوفية وتقريب رموزه والاستفادة منهم، بل إن هناك من السلاطين من تتلمذ على يد مشايخ الصوفية[٩٠]، ثقة بهم واعتقادا ببركاتهم، ووصلت ثقة حكام بني رسول بالصوفية ذروتها؛ لدرجة إسنادهم منصب القضاء العام للفقيه الصوفي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الحضرمي وذلك في عهد الملك المظفر الرسولي[٩١]، وفي عهد الملك المجاهد تـ 764هـ/1363م ومن جاء بعده من السلاطين، كالأفضل والأشرف "الثاني" والناصر توسعت الصوفية ومارست طقوسها الفكرية في معظم مدارس زبيد وتهامة، بل أصبح للصوفية تأثير كبير وصل صداه إلى مكة المكرمة[٩٢].

الدبيع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص٣٨٨-٣٩٠، ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص٩٩، ١٠١، تاريخ الدولة الرسولية لمؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري، ص١٥٤، حسن (إبراهيم حسن): انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠، ص١٦٥-١٦٧، زهرة (عبدالغني عبدالفتاح): تاريخ انتشار الإسلام في افريقيا وأحوال المسلمين بها، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٢١-٢٥.

[٨٧]- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٦، الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٨، الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣.

[٨٨]- الشجاع (عبدالرحمن عبدالواحد): الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤، ص١٧٠-١٧٤.

[٨٩]- انظر الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، الجزء الأول، ص٥١-٥٢.

[٩٠]- الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص، ص٤٤، ٩٦.

[٩١]- الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص، ص٩٦.

[٩٢]- تورد المصادر بعض أسماء الصوفية الذين كان لهم تأثير بلغ مكة المكرمة؛ منهم الفقيه الصوفي عبدالله بن أسعد اليافعي تـ ٧٦٨هـ/١٣٦٦م الذي أسندت إليه مشيخة الحرم والإشراف على الكعبة والمؤسسات الدينية وانتشرت مؤلفاته بين فقهاء الصوفيين المكيين وتلاميذهم، ومنهم الصوفي اسماعيل بن إبراهيم الجبرتي الذي كان لبعض أهل مكة اعتقاد كبير به. انظر في هذا الصدد: الخزرجي (علي بن الحسن تـ ٨١٢هـ/١٤٠٩م): العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، الجزء الثالث، تحقيق عبدالله العبادي وأخرون، الجيل الجديد ناشرون، صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص١١٩٥-١١٩٦، الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد تـ ٨٣٢هـ/١٤٢٨م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، الجزء الأول، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٢٥٦، الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص، ص١٠٣، الزهري (أروى عبدالله

ومن أشهر رجال الصوفية الذين عاصروا الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي؛ الفقيه والعالم الصوفي الشهير إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي تـ 806هـ/1403م[٩٣]، والشيخ عفيف الدين عبدالله بن عمر بن المسن تـ 828هـ/ 1425م وكان عالما متضلعا باللغة العربية وفنونها، وله قبول عند العامة والخاصة [٩٤]، ومن الأسماء الصوفية اللامعة عالم الفلك والحساب أبو محمد بكر بن محمد بن حسن بن مرزوق بن حسن الصوفي تـ 773هـ/1368م، وكان له أربطة في عدة مدن منها زبيد وتعز عدن[٩٥]، ومن علماء الصوفية المشهورين الذين عاصروا الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي؛ الفقيه وجيه الدين عبدالرحمن بن الإمام صفي الدين أحمد بن محمد بن سالم تـ 839هـ/1437م، الذي أجاد العديد من العلوم كالتفسير والحديث وعلم القراءات والفقه واللغة، وألف العديد من الكتب منها" لوامع الأنوار وجوامع الأسرار في مناجاة العزيز الغفار لقضاء الحوائج والأوطار"وكتاب" الشفاء التام من الآلام والأسقام والأسماء العظام"[٩٦].

وصفوة القول؛ أن حركة التصوف في اليمن قد شهدت– كغيرها من الحركات الفكرية والمذهبية التي ظهرت في العالم الإسلامي– تطورا في الرؤى والأفكار والتسميات[٩٧]، ومن أبرز الفرق الصوفية التي ظهرت في اليمن فرقة الشاذلية، والتي يعود الفضل في وصولها إلى بلاد اليمن وانتشارها إلى الشيخ علي بن عمر القرشي، وهو ما سنتحدث عنه في الفقرات القادمة.

١– مدينة المخا منطلق لنشر الطريقة الشاذلية:

يعد الشيخ علي بن عمر القرشي المؤسس الأول للطريقة الصوفية الشاذلية في بلاد اليمن حسب إجماع المصادر[٩٨]، ولذا ما إن استقر الشيخ علي في مدينة المخا حتى شرع في العمل على نشر الطريقة الشاذلية[٩٩]، وابتنى له زاوية خاصة به، وبدأ التدريس ونشر علوم الشاذلية، وتصانيفهم[١٠٠]، فأقبل المريدون إلى زاويته، وذاع صيته وتوسعت علاقاته الاجتماعية، والظاهر أن الشيخ كان حريصاً على ربط علاقات مع بعض الأسر المشهورة، ليوظف ذلك في نشر مذهب الصوفية الشاذلية بين القبائل والأسر الكبيرة، يتضح ذلك من روابط المصاهرة لبعض الأسر كأسرة بني الخطيب الذين تزوج منهم[١٠١]، وغيرها من الأسر لتصل عدد زوجاته إلى أربع نسوة[١٠٢].

محمد): علاقة اليمن بمكة في عصر الدولة الرسولية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تعز، أغسطس ٢٠١٤م. ص١٧٤-١٧٨.

[٩٣])- الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص، ص١٠١- ١٠٦.

[٩٤])- البريهي، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٦٩-١٧١.

[٩٥])- بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، الجزء الثاني، ص٢٩-٣٠، الصافي (محمد حسين): علماء التزكية ودورهم العلمي والدعوي في عهد الدولة الرسولية، بحث منشور ضمن المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب جامعة تعز ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة، (تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور، ٢٥-٢٧ مايو ٢٠٠٩م)، مطبعة النيل، تعز، ٢٠١٠م، الجزء الثاني، ص٥٦٢.

[٩٦])- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٦٧-٦٩.

[٩٧])-عرف اليمن ظهور عدة فرق وطرق صوفية منها الطريقة القادرية، الطريقة الرفاعية، الطريقة المغربية، الطريقة السهروردية، الطريقة النقشبندية. للمزيد حول تلك الطرق؛ راجع الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص٣٣- ٣٩.

[٩٨])- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص ٣٠٨، الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣، السخاوي ، الضوء اللامع ، الجزء الخامس، ص٢٦٢.

[٩٩])- الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣.

[١٠٠])- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٨.

[١٠١])- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٦٢.

[١٠٢])- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٨.

ومع مرور الأيام تمكن الشيخ علي بن عمر القرشي من استقطاب أعدادا كبيرة من المريدين من مناطق مختلفة من بلاد اليمن، وعبر تلامذته استطاع أن ينشئ زوايا وأربطة للشاذلية في بعض المدن اليمنية، فما أهم المدن التي أنشأت زوايا وأربطة للطريقة الصوفية الشاذلية؟

٢- مدينة عدن وتأسيس رباطٍ جديدٍ للطريقة الشاذلية:

تذكر بعض كتب التراجم والطبقات أن الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي تمكن عبر بعض مريديه من نشر طريقة الشاذلية في بعض المناطق اليمنية، ففي هذا الصدد يذكر مؤلف كتاب تاريخ سادات اليمن أنه بإشارات وتوجيهات من الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي نجح بعض تلامذته من تأسيس زوايا وأربطة في بعض المدن اليمنية، وعلى رأسها مدينة عدن، إذ تمكن كلٌ من الشيخ حسن بن عبدالرحمن الأهدل، والفقيه أحمد بن أبي بكر الحضرمي الهاشمي- اللذين كانا يزوران مدينة عدن باستمرار بتوجيه من الشيخ علي بن عمر القرشي- من العمل على نشر الطريقة الشاذلية فيها، ويبدو أنهما وجدا ارتياحاً من المجتمع في مدينة عدن للأفكار الصوفية الشاذلية، فرفعا تقريرا للشيخ علي بن عمر القرشي بذلك، واستأذناه في استيطان عدن، وتأسيس رباطٍ للشاذلية فيها، ليتوليا إدارته والإشراف على تعليم مريديه، فأذن لهما الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي[١٠٣]، وبهذا أُسس رباط جديد للشاذلية في مدينة عدن، وبقي الشيخ حسن بن عبدالرحمن الأهدل يدير ذلك الرباط حتى وفاته، ودفن في ذات المكان في أول يوم من شهر المحرم سنة 831هـ/22 اكتوبر 1427م؛ وقبره مشهور يُزار ويُتبرك به[١٠٤].

وعموماً فإن انتشار الطريقة الشاذلية وبناء زوايا وأربطة لها في المخا ومدينة عدن لاحقاً قد أدى إلى ذيوع صيت مؤسس الطريقة علي بن عمر القرشي، وتناقل الناس كراماته وبركاته[١٠٥]، حتى لجأ إليه بعض أفراد المجتمع للتوسط في حل بعض المشاكل التي استعصت عليهم، بل إن بعض الشخصيات السياسية الرسمية من سلاطين الدولة الرسولية كانت على تواصل معه، اعتقادا منها بكراماته وببركة دعائه والاستعانة به في بعض الملمات. فما هي أبرز المناقب والسمات التي تميز بها الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي؟ وما الدور الذي أسهم به على المستوى المجتمعي؟

ثانيا: مناقب الشيخ علي بن عمر القرشي وتأثيره في الحياة المجتمعية:

إن الحديث عن دور الشيخ علي بن عمر القرشي الاجتماعي يقتضي بالضرورة الإشارة إلى المزايا والصفات التي كان يتحلى بها والتي جعلت الناس يلوذون به إذا حلت بهم الملمات. فما هي أبرز الصفات التي ميزت الشيخ علي بن عمر القرشي؟

من اطلاعنا على المصادر التي عاصر بعضها الشيخ علي بن عمر القرشي؛ نجد أنها أفاضت في الثناء عليه ومدحه وذكر المناقب التي كان يتحلى بها، وحب الناس له وإقبالهم عليه، ففي هذا الصدد يتحدث الشرجي عن مناقبه قائلا: "وكانت له مكارم وفضائل يعين الفقراء والوافدين بماله وجاهه، وكان كثير

[١٠٣]- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٩٩-٤٠٠.
[١٠٤]- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٤٠٠.
[١٠٥]- الشرجي: طبقات الخواص، ص٢٣٣.

النذورات والفتوحات خصوصا من الحبشة، وكان لا يدخر شيئا من الدنيا، وما دخل عليه أنفقه في وجوه الخير"[١٠٦].

ونجد المؤرخ الأهدل وهو من المعاصرين له ومن تلامذته يذكر محامده قائلا: "ولأهل تلك النواحي- يقصد المخا وبلاد التهايم- فيه اعتقاد عظيم، ولهم فيه انتفاع كثير، واهتدى به خلق عظيم... وبالجملة كان فيه فضائل ومكارم ومواساة للفقراء والوافدين بجاهه وما في يده، وكان لا يدخر شيئا من الدنيا"[١٠٧].

ويتحدث البريهي عن بعض مناقبه وبركاته ومنها "أنه كان يفد إليه الضيف ولم يكن معه في بعض الأوقات ما يتجمل به إليهم، ويقول له أهل بيته: ما عندنا شيء، فيقول:" انظروا في الآنية التي يكون فيها السمن والعسل فإنكم تجدون ذلك فيها، مع علمهم أنه ليس فيه شيء، فيذهبون فيجدون فيها ذلك، هذا بعض كراماته"[١٠٨].

ويصفه أحد تلامذته وهو شهاب الدين أحمد بن أبي بكر القرشي الحضرمي لما سئل عن حال شيخه شمس الدين القرشي فقال كان" يوسع على المريدين، ويحمل عنهم التعب، وينفي المشاق، ويتصرف بحكم الله في القلوب والقوانين. قال: خدمته خمسا وعشرين سنة، ما أتى على يوم إلا وسمع منه كلاما غير الأول بين محاسن الشريعة فيما هو مدد الوراثة المحمدية والعلم اللدني الرباني"[١٠٩].

وبالإضافة إلى هذه المزايا والمناقب التي تحلى بها الشيخ علي بن عمر القرشي، فقد عرف بالنزاهة وعفة اليد ورفض الأموال والهبات التي حاول بعض سلاطين الدولة الرسولية منحه إياها ومن ذلك رفضه لمكرمة مالية قدرها أربعة آلاف مثقال أرسلها إليه السلطان الناصر[١١٠]، ولما رفض قبولها حاول السلطان أن يجعل له "من النخيل ألف نخلة ومن الأراضي شيئ كثير، فامتنع من ذلك أيضا[١١١].

إن الناظر لشخصية علي بن عمر القرشي من خلال ما جادت به كتب الطبقات والتراجم يجد أن هذا الرجل على الرغم من أنه قد نذر حياته للعلم والعبادة، لكنه لم يكن منفصلاً عن واقع المجتمع والتفاعل مع مشاكله، وهذا ما نلمسه من خلال استماعه لقضايا المجتمع وإسهامه في حل المشكلات التي كانت تعرض إليه منذ الوهلة الأولى لاستقراره بمدينة المخا، وسنكتفي بإيراد قضيتين" ذات طابع اجتماعي سياسي" طرحت بين يديه وكيف تعاطى معها.

القضية الأولى: تتعلق بخصوص امرأة من الأثرياء قدمت إليه من منطقة العقارب- غرب محافظة لحج اليوم- واستجارت به لإنقاذ ابنها الذي اتهم بجريمة قتل وطلبت منه التوسط لدى الوالي، فقام الشيخ بالشفاعة لدى الوالي، فقبل الوالي شفاعته، وعفا عن ولدها، وأقامت مع ابنها عند الشيخ علي بن عمر في

---

[١٠٦])- الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣.
[١٠٧])- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٨.
[١٠٨])- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٧.
[١٠٩])- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٧.
[١١٠])- هو السلطان "الناصر" أحمد بن "الأشرف الثاني" اسماعيل بن "الأفضل" عباس بن " المجاهد" علي بن "المؤيد" داؤد بن "المظفر" يوسف بن "المنصور" عمر بن رسول؛ تولى الحكم من سنة ٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠٠-١٤٢٥م. انظر تاريخ الدولة الرسولية ، لمؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري ص ١٣٣، ٢٠٧. وتجدر الإشارة أنه سبق إعطاء نبذة مختصرة عن هذا السلطان في تمهيد هذا البحث.
[١١١])- البريهي طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٦-٢٦٧.

المخا معززين مكرمين[١١٢]، ويضفي البريهي كرامة على الشيخ علي بن عمر القرشي فيقول: إن أخا المقتول لما علم بتدخل علي بن عمر القرشي للشفاعة لدى الوالي استل سيفه وذهب إليه ليقتله، وعندما وصل التفت إليه الشيخ علي بن عمر القرشي فدعا عليه فلم يعش إلا أياما ثم مات، فما كان من أسرته إلا أن قدموا إلى الشيخ يطلبون المسامحة والاعتذار منه[١١٣]، وأياً كانت صحة هذه القصة من عدمها؛ فما يهمنا نحن هو أن الشيخ علي بن عمر القرشي أصبح له وزنه في المجتمع ويسهم في حل بعض مشكلاته وصوته مسموع لدى الولاة الذين كانوا يجلونه ويحترمونه.

القضية الثانية: أوردها صاحب طبقات صلحاء اليمن يقول فيها إن السلطان الرسولي الناصر راسله في مشكلتين حلت به في آن واحد:

الأولى: ان ابنا له اسمه محمد أصيب بالجنون.

الثانية: أن أخاً للسلطان الناصر اسمه "حسين" تمرد عليه[١١٤]، وتمكن من السيطرة على حصن تعز والتمركز فيه مع جماعة من أنصاره.

على أية حال، أرسل السلطان الناصر الرسولي مبعوثاً إلى الشيخ علي بن عمر القرشي يطلب منه الدعاء بعافية ابنه، ويطلب منه الدعاء في عودة الحصن إليه وهزيمة المتمردين عليه، وإنه مستعد لزيارة الشيخ علي إلى المخا في حال تقاعس عن الدعاء له بحل المشكلتين اللتين حلت به، وعندما وصل مبعوث السلطان الرسولي الناصر إلى الشيخ علي بن عمر القرشي لبى طلب السلطان، ودعا له فعوفي ولده وعاد الحصن إليه، كما انتهت فتنة التمرد التي قادها آخوه حسين[١١٥].

إذاً يتضح لنا مما سبق مدى التأثير الذي أضحى يلعبه الشيخ علي بن عمر القرشي في المجتمع والاسهام في حل مشاكله، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى الثقة الكبيرة التي أصبح يتمتع بها هذا الشيخ على المستويين الشعبي والرسمي، ولا شك أن صدى هذه القضايا وما يقوم به الشيخ علي بن عمر القرشي داخل المجتمع من أعمال انتفع بها الكثير، فضلا عما تحلى به الشيخ من مناقب ومكارم وفضائل قد تناقلها الناس ووصلت أخبارها إلى أماكن مختلفة في بلاد اليمن، الأمر الذي دفع العديد من العلماء والفقهاء وغيرهم من كبار القوم إلى زيارة مدينة المخا والنزول عند الشيخ علي بن عمر القرشي، والاستماع له والإفادة من علمه وأخلاقه والحظوة ببركة لقائه. فما أبرز الشخصيات التي زارت الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي ونالت صحبته؟

---

[١١٢])- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٦٦.

[١١٣])- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٦٦.

[١١٤])- سبق لحسين أن تمرد على أخيه السلطان الناصر في مدينة زبيد وسيطر عليها وتلقب بالظافر ، فتوجه إليه الناصر واستعاد مدينة زبيد بالقوة وألقى القبض على أخيه حسين وقيده ونقله إلى حصن تعز، وبعد خروج السلطان الناصر في مهمة إلى خارج تعز تمكن آخاه حسين من أن يعلن تمرده بمساعدة بعض الجند وأن يسيطر على حصن تعز، وكان ذلك في سنة ٨٢٢هـ/١٤٢٥م. انظر ابن الديبع الشيباني، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص٣٨٩-٣٩٠.

[١١٥])- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٦٦-٢٦٧، ابن الديبع الشيباني، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص٣٨٩-٣٩٠.

ثالثا: العلماء والفقهاء الذين زاروا المخا وقابلوا الشيخ علي بن عمر الشاذلي:

من تتبعنا للمصادر التاريخية وكتب الطبقات والتراجم، يظهر التأثير العلمي الكبير الذي أصبح يمثله الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي منذ استقراره في مدينة المخا، وهو ما تجلى بوضوح من خلال زيارة عشرات العلماء والفقهاء وطلبة العلم لمدينة المخا، والسماع للشيخ علي بن عمر والتتلمذ على يده، ونيل صحبته، ويمكن استعراض أسماء أبرز هؤلاء العلماء والمشايخ والطلبة على النحو الآتي:

١- المؤرخ المشهور بدر الدين أبي عبدالله الحسين بن عبدالرحمن بن محمد الأهدل المتوفي سنة ٨٥٥هـ/١٤٥٨م، وهو مؤلف كتاب: (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن)، وقد ذكر المؤرخ الأهدل زيارته للشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي في كتابه تحفة الزمن قائلا:" ثم زرته وأقمت معه أياما لسماع بعض كتب المشايخ، وأخذت منه يد الشاذلية"[١١٦].

٢- العلامة أحمد بن محمد الرديني[١١٧]، من مشايخ تهامة المشهورين، وكان له زاوية خاصة به وبمريديه في جهة وادي مور سماها" الرغد"[١١٨].

٣- الشيخ حسن بن عبدالرحمن الأهدل، وقد زار الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي وأقام عنده مدة بساحل المخا[١١٩]، وتتلمذ على يده وعنه عرف الطريقة الشاذلية، وبتكليف منه أنشأ مع رفيقه الفقيه أحمد الحضرمي رباطاً للشاذلية في مدينة عدن[١٢٠]، كما أوضحنا ذلك سالفًا.

٤- الشريف يحيي بن أحمد المساوى[١٢١]، الذي زار الشيخ علي بن عمر القرشي في المخا للتبرك به، وامتدحه شعرا كما أسلفنا، ويورد الشرجي فضائل هذا الشريف المساوى وكراماته، وأنه كان صاحب زاوية في ناحية حرض، ولما وافته المنية سنة إحدى وأربعين وثمانمائة دفن فيها[١٢٢].

٥- الفقيه العالم القطب رضي الدين أبوبكر بن محمد بن عيسى الزيلعي، وهذا الفقيه من صلحاء تهامة المشهورين، وقد زار الشيخ علي بن عمر القرشي في المخا[١٢٣].

٦- الفقيه أحمد بن أبي بكر الحضرمي الهاشمي[١٢٤]، وهذا الفقيه تتلمذ على يد الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي، وعنه عرف طريق الشاذلية، وقد أورد البريهي نصاً عن هذا الفقيه يقول فيه عن شيخه: "خدمته خمسا وعشرين وسنة، ما أتى علي يوم إلا وسمع منه كلاما غير الأول بين محاسن الشريعة فيما هو مدد الوراثة المحمدية والعلم اللدني الرباني"[١٢٥].

٧- الفقيه المتصوف أبو بكر بن أحمد "الطيب"، وهو من أبناء عمومة الشيخ علي بن عمر القرشي، فهو حفيد العلامة أبي بكر بن أحمد بن دعسين بن علي بن عبدالله بن محمد بن دعسين بن هبيني- بضم

---

١١٦)- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٨.
١١٧)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٦٧.
١١٨)- الشرجي، طبقات الخواص، ص٨٣-٨٤.
١١٩)- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٩٩.
١٢٠)- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٩٩-٤٠٠.
١٢١)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٦٧.
١٢٢)- الشرجي، طبقات الخواص، ص٩٤-٩٥، وتجدر الإشارة إلى أن الشرجي يسميه أحمد بن يحيي المساوى.
١٢٣)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٦٨.
١٢٤)- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٩٩.
١٢٥)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٦٧.

الهاء- يذكر المؤرخ الأهدل أنه صحب الشيخ أبا الحسن علي بن عمر القرشي وأخذ عنه "كثيرا من علم التصوف وكتب الشاذلية"[١٢٦]، وقد ولي قضاء موزع وتوفي سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م.

٨- الشيخ برهان الدين إبراهيم بن بدر الدين حسن بن الشيخ غلاب بن علي- من بلد الأخلود مشايخ الكدهية من عزلة الوافي جبل حبشي- وقد زار برهان الدين الشيخ علي بن عمر القرشي في المخا ونال صحبته[١٢٧].

٩- ومن الذين صحبوا الشيخ علي بن عمر القرشي الشيخ أبو القاسم بن عبدالرحمن الأهدل[١٢٨] الشقيق الثاني للمؤرخ الأهدل مؤلف تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن.

وبالإضافة إلى هؤلاء العلماء الذين زاروا الشيخ علي بن عمر القرشي من مناطق اليمن المختلفة، هناك من تجشم عناء السفر وزاره من خارج اليمن، ومنهم المفسر المحدث شهاب الدين أحمد بن عمر الأنصاري الشاذلي المعروف بالشاب التائب، وكان هذا الرجل قد سبق والتقى بالشيخ علي بن عمر القرشي في أثناء رحلته العلمية إلى مصر وعقدا الأخوة فيما بينهم كما أسلفنا[١٢٩]، ولما وفد شهاب الدين الأنصاري إلى اليمن في مرحلة متأخرة زار عدة مدن يمنيه منها زبيد، وإب وتعز، ولم يفته أن يزور المخا وأن يلتقي بالشيخ علي بن عمر القرشي[١٣٠].

وتجدر الإشارة إلى أنه إضافة إلى العلماء والطلبة والفقهاء الذين زاروا الشيخ علي بن عمر القرشي من مدن اليمن المختلفة، ومن خارج اليمن واستمعوا له واستفادوا من علمه، ومن مجالسته وصحبته، فإن هناك العديد من العلماء والشعراء الذين كانوا يعظمونه ويجلون قدره أشهرهم: الشيخ العارف برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن مفرج صاحب حيران إحدى مناطق مدينة حرض[١٣١]، والعالم المحقق أبوبكر بن محمد المحجوب [١٣٢]، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القديمي الحسني الذي كان يقطن منطقة الحرجة من قرى وادي سردد بتهامة، ويقال أن جده قدم من بلاد العراق واستقر في تلك المناطق[١٣٣].

وصفوة القول، لقد كان الشيخ علي بن عمر القرشي من أشهر علماء زمانه، وإليه هاجر طلبة العلم، حتى وصفه أحد تلامذته بأنه "كان يتكلم في أسرار الحروف والأسماء ومقامات الصديقين، ومراتب المقربين، ورجال الغيب والأبدال والأوتاد والأفراد، والقطب، وتنزيلات المدد، ولطائف الإلقاء، وأكابر الملقين، وخصائص المتقين، ومذهبه الفناء بالله، والتثريب الكبرى، والإيناس"[١٣٤]، وفي عهده انتعشت مدينة المخا، وأصبحت مركزا علميا مشعا، وتحولت إلى مزارٍ وقبلة للكثير من العلماء والفقهاء من مناطق اليمن المختلفة، بل ومن خارج اليمن، وتمكن الشيخ علي بن عمر القرشي من أن يجذب القلوب والأفئدة إليها،

---

١٢٦)- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٧.
١٢٧)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٦١ وهامشها.
١٢٨)- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٨.
١٢٩)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٦..
١٣٠)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٤١.
١٣١)- الشرجي، طبقات الخواص، ص٥٣.
١٣٢)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٨.
١٣٣)- الشرجي، طبقات الخواص، ص٥٣-٥٤.
١٣٤)- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٧.

ومنها انتشرت الطريقة الصوفية الشاذلية في بلاد اليمن، بل إن بعض الشعراء عدَّ المخا في أرض اليمن وريثة سر الشاذلية في العالم الإسلامي حينها في عهد الشيخ علي بن عمر القرشي، وهو ما عبر عنه الشاعر والمحدث شهاب الدين أحمد بن عمر الأنصاري الشاذلي المعروف بالشاب التائب– في أثناء زيارته لليمن– حين قال في قصيدة امتدح بها الشيخ علي بن عمر القرشي:

سر الإمام الشاذلي أبي الحسن إرث سرى بمخا من حي اليمن

وقوله أيضا: عَظِم مخاء إذا وصلت وقدسا فترى به للشاذلية قدسا[١٣٥].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك من ينسب إلى الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي اكتشاف شراب القهوة في بلاد اليمن[١٣٦]، لتصبح المخا من حينها مركزا عالميا مصدرا للبن، وبدأ التنافس الدولي للسيطرة على ميناء المخا الذي أصبح ذا أهمية كبرى بعد اكتشاف مشروب القهوة[١٣٧].

رابعا: وفاة الشيخ علي بن عمر القرشي ودفنه في رباطه بمدينة المخا:

بعد حياة حافلة بالعطاء وبصمة علمية ومجتمعية نحتها مؤسس الطريقة الشاذلية في اليمن انطلاقا من مقر إقامته في مدينة المخا، رحل الشيخ علي بن عمر القرشي في سنة 828هـ/ 1425م[١٣٨]، ودفن بالمخا، وقبره معروف يزار ويتبرك به[١٣٩]، وما زال ضريحه قائماً إلى يوم الناس هذا، وقد خلف الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي عددا من الأبناء؛ ذكر السخاوي منهم عبدالرؤوف وعبدالمحسن وأبي الفتح وعبد المغني وغيرهم[١٤٠]، وكان عبدالرؤوف المكنى بـ عفيف الدين بن علي بن عمر القرشي له مكانته في المجتمع في حياة أبيه حتى إنه لقبه بأبي المكارم، وقد ورث عفيف الدين عبدالرؤوف والده في إكرام الضيف والإحسان إلى الوافد وبذل ما بيده للفقراء والمساكين، حتى أنه كان لا يرد سائلا حسب بعض الروايات[١٤١]، ومن أبناء الشيخ علي بن عمر القرشي الذين برزوا في المجتمع ولدً اسمه الزين[١٤٢]، وقد سار على نهج أبيه وأخيه عفيف الدين عبدالرؤوف بالعبادة وأفعال الخير، وهذان الأخوان– عفيف الدين عبدالرؤوف، الزين– هما أبناء الشيخ علي بن عمر القرشي من زوجته أخت الشيخ سعدالدين المجاهد التي تزوجها في بلاد الحبشة[١٤٣]، كما أوضحنا ذلك سلفا.

---

[١٣٥])- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٦٩.

[١٣٦])- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٦٤، هامش رقم ٤، الخطابي، تجارة البن اليمني (ق ١١هـ - ١٣هـ / ق١٧م – ١٩م) "دراسة تاريخية"، ص١٥-١٨.

[١٣٧])- الصايدي، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ص٢١٢- ٢١٣.

[١٣٨])- الأهدل، تحفة الزمن، الجزء الثاني، ص٣٠٨، البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٧٠، وقارن الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣، الذي يجعل وفاته سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م.

[١٣٩])- الشرجي، طبقات الخواص، ص٢٣٣.

[١٤٠])- السخاوي، الضوء اللامع، الجزء الخامس، ص٢٦٢.

[١٤١])- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٧٠.

[١٤٢])- تسوق بعض الروايات كرامات للشيخ الزين منها أن جهة شقيق أخت السلطان الظاهر الغساني(حكم من سنة ٨٣٢ إلى سنة ٨٤٢هـ/١٤٢٨-١٤٣٨م) استجارت به من ابن أخيها الأشرف بن الظاهر- (حكم من سنة ٨٤٢ إلى سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٣٨-١٤٤١م) الذي كان قد أصدر أوامره بإغراقها في البحر، فقبل الأشرف شفاعة الشيخ الزين فيها، لكنه بعد رجوعها إليه قام بقتلها، ولما بلغ الشيخ الزين خبر مقتلها دعا على الأشرف بن الظاهر فلم ينتفع بنفسه بعد ذلك، بل مات وتفرق أولاده وأهله، وذلك ببركة هذا الشيخ وكراماته حسب الروايات. انظر طبقات صلحاء اليمن، ص٢٧١.

[١٤٣])- البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٧٠- ٢٧١.

خاتمة

تأسيسًا على كل ما سبق من محاور البحث وعناوينه المختلفة نستطيع الخروج بالنتائج الآتية:

أولا: اشتهرت مدينة المخا في العصر الوسيط وذاع صيتها، فبالإضافة إلى كونها ميناء تاريخياً منفتحاً على العالم الخارجي منذ القدم، فقد كان لنزول بعض العلماء واستيطانهم بها دوره في شهرة المدينة، فأضحت مركزا علمياً مشهورا وفد إليها طلبة العلم والفقهاء من كل مناطق اليمن.

ثانيا: أدى الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي دورا بارزا في إشهار مدينة المخا الساحلية بعد استقراره فيها، فبالإضافة إلى قيامه بأعباء التدريس للعلوم المختلفة، فقد كان له الفضل في نشر طريقة الصوفية الشاذلية في اليمن التي اعتنقها الكثير من المريدين والأتباع حينها، كما أسهم تلامذته في إنشاء أربطةٍ للطريقة الشاذلية في بعض المدن اليمنية وعلى رأسها مدينة عدن.

ثالثا: أضحت مدينة المخا مزارا لكثيرٍ من فقهاء اليمن وعلمائها وحكمائها في عهد الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي الذي ذاع صيته وتجاوز الحدود اليمانية، فوفد إلى رباطه في مدينة المخا علماء من مناطق مختلفة في العالم الإسلامي.

رابعا: بالإضافة إلى الدور العلمي للشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي، فقد كان له تأثير واضح في الحياة الاجتماعية اليمنية؛ ظهر ذلك في نزوله عند احتياجات الناس وتبنيه للفقراء والمحتاجين والوافدين إليه في مدينة المخا، فضلا عن إسهامه في حل بعض المشاكل التي عرضت عليه على المستويين الرسمي والشعبي.

خامسا: نتيجة للتأثير الكبير الذي خلده الشيخ علي بن عمر القرشي الشاذلي في الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية داخل مدينة المخا وعلى مستوى اليمن في تلك الحقبة التاريخية، فقد ظل رباطه ومسجده مزاراً لكثيرٍ من الناس إلى يومنا هذا، ولاسيما في منطقة تهامة ومدن الساحل الغربي للبحر الأحمر عموما.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- الأهدل (بدر الدين أبي عبدالله الحسين بن عبدالرحمن بن محمد تـ 855هـ/1451م)، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، الجزء الثاني، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، 2012.
- البريهي (عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي تـ 904هـ/1498م)، طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، 1994.
- بامخرمة (أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد تـ 947هـ/1540م)، تاريخ ثغر عدن، الجزء الثاني، مطبعة بريل، لندن، 1946.
- الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت تـ 626هـ/1228م): معجم البلدان، المجلد الرابع (7- 8)، تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، الطبعة الأولى، 2008.

- الخزرجي (علي بن الحسن ت 812هـ/1409م)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الجزء الأول، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، الطبعة الثانية، 1983.
- الخزرجي (علي بن الحسن ت 812هـ/1409م)، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، تحقيق عبدالله العبادي وأخرون، الجزء الثالث، الجيل الجديد ناشرون، صنعاء، الطبعة الأولى، 2009.
- الزركلي، (خير الدين)؛ كتاب الأعلام، مج4، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، 1986.
- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ت 902هـ/1496م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الجزء الخامس، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الزعبلي وعلي بن محمد الحريري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م.
- الشرجي (أبي العباس احمد بن احمد بن عبداللطيف الزبيدي ت 893هـ/1487م)، طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع+ دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى، 1986.
- الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد ت 832هـ/1428م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، الجزء الأول، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1406هـ/1986م.
- الهمداني (الحسن بن أحمد بن يعقوب ت 360هـ/970م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990.
- الوصابي (وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد ت 782هـ/1380م)، تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، الطبعة الأولى، 1999.
- ابن الديبع الشيباني (عبدالرحمن بن علي ت 944هـ/1537م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الطبعة الثانية 1409هـ/1988م.
- ابن الديبع الشيباني (عبدالرحمن بن علي ت944هـ/1537م)، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، 2006.
- مؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري، تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1984.

ثانيا: المراجع

- الحبشي (عبدالله محمد)، الصوفية والفقهاء في اليمن، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1976.
- بافقيه (محمد عبدالقادر) وآخرون، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1985.
- حسن (إبراهيم حسن)، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2000.

- زهرة (عبدالغني عبدالفتاح)، تاريخ انتشار الإسلام في افريقيا وأحوال المسلمين بها، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية، الرياض، الطبعة الأولى،2007.
- الشجاع (عبدالرحمن عبدالواحد)، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004.
- الصايدي (أحمد قائد)، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، دار الفكر، دمشق، طبعة 1990.
- الكامل (محمد أحمد)، موجز تاريخ اليمن في العصر الإسلامي حتى نهاية عهد الدولة الطاهرية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الثانية، 1438هـ/2017م.
- هديل (طه حسين عوض)، التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية وأثرها في الحياة العامة في اليمن، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، الطبعة الأولى، 2012.

ثالثاً: دراسات ضمن الكتب المحررة

- الصافي (محمد حسين): علماء التزكية ودورهم العلمي والدعوي في عهد الدولة الرسولية، بحث منشور ضمن المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب جامعة تعز ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة، (تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور، 25-27 مايو 2009م)، الجزء الثاني، مطبعة النيل، تعز، 2010م، الصفحات من 555 إلى574.

رابعاً: الدوريات

- العروسي (محمد بن علي)، العلماء الملوك في اليمن في عصر الدولة الرسولية، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، المجلد22،1431هـ/2010م، الصفحات من 45 إلى66.

خامسا: الرسائل والأطروحات الجامعية

- الخطابي (أروى أحمد عبد الله): تجارة البن اليمني (ق١١هـ-١٣هـ/ ق١٧م-١٩م) "دراسة تاريخية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، اليمن، يوليو 2004م.
- الزهري (أروى عبدالله محمد)، علاقة اليمن بمكة في عصر الدولة الرسولية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تعز، أغسطس 2014م.